مقدمة

الحمد لله الذى كتب لذاته البقاء ، وعلى غيره الفناء [١] والزوال ، وأشهد أن لا إله إلا الله .وحده لا شريك له .وأن محمدا عبده ورسوله .صلى الله عليه وعلى أصحابه والتابعين.

أمَّا بعد

فإن الدنيا خَدَّاعة غرَّارة ،تعطى لتأخذ ،وتجمع لتفرق ،وتحلى لِتمرّ، وإنها التفوغ فى القلوب أكئوسًا من الحزن بقدر.ما تصبّ فيها من سرور.

هى الدنيا تقول بملء فيها ... حذارى حذارى من بطشى وفتكى

فلا يغرركم وامنى ابتسام ... فقولى و ضحك والفعل مبسكى

ويقول على ابن أبى طالب "رضى الله عنه

تحرّز من الدنيا فإن فناءها ... محل فناءٍ لا محل بقاء

فصفوتها ممزوجة بكدورة ... وراحتها مقرونة بعناءً[٢]

ويقول أيضا رضى الله عنه:

هجالان شدة ورخاء ... وسجالان نعمة وبلاءِ

والفتى الحاذق الأديب إذا ما ... خانه الدهر لم يخنه عزاءِ

إن إن إن المّت بملمة بى فإنى ... فى الملمات صخرة صماء

عالم بالبلاء علما بأن ليس ... يدوم النعيم والرخاء

١- الفناء بالكسر : الساحة أمام البيت .

٢- ديوان الإمام علي رضى الله عنه ص ٩.

ولقد خاطب الله عزوجل نبيه عليه السلام بقوله (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)(١) ويقول عزوجل : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ)(٢) ولقد أعد الله الدار الأخرة للمتقين فقال سبحانه :(تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)(٣) وقد خلق الله الموت الحياة للابتلاء والاختيار فقال عزوجل :(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ)(٤) والحقيقة المرّة والتى يجب على كل مسلم ،بل كل إنسان أن يعييها ويعمل لها أنه مهما امتدّ الليل لابدّ من طلوع الفجر ،ومهما طال العمر لا بدّمن دخول القبر، يقول الإمام على رضى الله عنه :

حياتك أنفاس تُعدُّ فكلما ... مضى نفس أنقصت به جزءا

ويحييك مايفنيك فى كل حالة ... ويحدوك حادٍ ما يريد بك الهزاء

فتصبح فى نفس وتمشى بغيرها ... ومالكَ من عقل تُحسُّ به رزاء(٥)

ولقد كان الدافع إلى هذا المؤلف هو رحيل (زوجتى (أم محمد)عن الدنيا إلى الدار الأخرة بعد عشرة طويلة ، وكفاح فى الحياة فطالما حفزتنى إلى العلياء ، فى حب وإخلاص ووفاء .ولقد كانت أمينة وفية ، ومتصدقة نقية ، نحسبها كذلك والله حسيبها ولا نزكى على الله أحداً . وبحق لقد تركت فى قلبى جرحاً غائراً، لا يندمل إلى أن ألقاها فى الفردوس

١- سورة الزمر : الآيات ٣٠- ٣١ .
٢- سورة الأنبياء : الآية ٣٤.
٣- سورة القصص : الآية ٨٣.
٤- سورة الملك : الآية ٢.
٥- الديوان ص١١.

الأعلى إن شاء الله .وحيث كانت ذات سيرة عطرة تتمتع بها دون لَداتها و أترابها .ولقد ودعتها فى يوم /السبت /الموافق ٢٠ من يناير عام ٢٠٠١وقد لحقت بالرفيق الأعلى عصر الجمعة الموافق ١٩ من يناير عام ٢٠٠١.ولا أجد ما أتمثل به سوى قول الشاعر (جرير) :

لولا الحياء لها جنى استعبار ... ولزرت قبرك و الحبيب يزارُ

ولَّهتِ قلبى إذ علتنى كبرة ... وذووالتمائم من بنيك صغارُ

ولقد أراكِ كسيت أجمل منظر ... ومع الجمال سكينة ووقارُ

صلى الملائكة الذين تَخيَّروا ... والطيّبون عليكِ والأبرارُ

وفى ختام كلامنا نتضرع إلى الله عزوجل أن يسكنها فراويد الجنان ، ويتغمدها بالرحمة و الرضوان ، وأن يمطر قبرها شآبيب الرحمات ، وأن يلحقنا بها على خير فى الفردوس الأعلى "إنه نعم المولى ونعم المستجيب " .

المؤلف

الدكتور على الخطيب

أستاذ ورئيس قسم الأدب و النقد

فى كلية اللغة العربية –جامعة الأزهر